مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ص ١١٩٧-١٢٤٧، (رجب ١٤٣٨هـ/مارس ٢٠١٧م)

دعوى أن الكتابيّ غير ملزم باتباع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتفنيدها

د. نزار عطا الله أحمد صالح[١]، و بلال حمدان محمود النجار[٢]
١ أستاذ مساعد، كليّة الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، التخصص: تفسير القرآن الكريم
٢ بكالوريوس أصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

ملخص البحث. ادعى بعض المعاصرين أنّ الكتابيّ غير ملزم باتباع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه مكلّف فقط بالتصديق بنبوّته، فإن صدّق به واتبعه فله أجران، وإن صدّق به ولم يتّبعه فله أجر واحد، ويكون مكلّفاً باتباع شريعته هو سواء كان نصرانياً أو يهودياً. استقصى البحث القائلين بهذه الدعوى من المعاصرين والأصول التاريخيّة لهذه الدعوى، ثم عرض أهمّ أدلتهم، ونقدها، وعارضها بأدلة أخرى، وخلص إلى أنّ هذه الدعوى باطلة، تخالف القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل.

مقدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فقد انتهى إلى مسامعنا أن بعض المعاصرين يزعم بأنّ الكتابيّ غير ملزم باتباع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه مكلّف فقط بالتصديق بنبوّته، فإن صدّق به واتبعه فله أجران، وإن صدّق به ولم يتّبعه فله أجر واحد، ويكون مكلّفاً باتباع شريعته هو سواء كان نصرانياً أو يهوديّاً، ولا يخفى أنّ ذلك يقتضي تصحيحه للعمل بشريعة غير شريعة الإسلام، وأن الشرائع السابقة غير منسوخة إلى غير ذلك مما يلزم عن هذا القول من اللوازم كما سنبيّنه إن شاء الله.

وقد احتجّ هذا القائل على زعمه بآيات من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث، فجمعنا أدلّته، وقرّرناها على أحسن وجوهها، ثمّ استقصينا التفاسير وكتب الفرق باحثين عن أصل هذا القول في أهل الفرق والملل، فوجدنا من يقول به أو بما هو قريبٌ منه، فأوردنا ذلك كما وجدناه في كتب القوم. ثمّ بحثنا في المتصدرين للكلام في الدين من المعاصرين هل من قائل بهذا القول؟ فوجدنا من قال بما هو قريب من ذلك القول أو بما يقتضيه، فذكرناه كذلك. ثمّ إننا عمدنا إلى أدلة هذه المزاعم ونقدناها وبيّنا ما فيها من خطأ وصواب، مانعين الدعاوى حيناً، ومعارضين لها حيناً، وناقضين لها حيناً، باستعمال أدلة من الكتاب والسنّة واللغة والعقل. ثم خلصنا بعد ذلك إلى نتيجة وحكم على هذا القول، فكان هذا البحث واقعاً في مقدّمة، وخاتمة، ومبحثين، وذلك كما يلي:

المبحث الأوّل: الزعم بأن الكتابي غير ملزم باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم وذكر بعض القائلين به.

المبحث الثاني: أهم أدلة من زعم بأنّ الكتابيّ غير ملزم باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم ومناقشتها.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٣] إلخ الآيات. والرد عليه.

المطلب الثاني: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٨] والرد عليه.

المطلب الثالث: الاستدلال بالحديث الشريف: (ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)[1]، والرد عليه

ثمّ ختمنا بنتائج البحث. والله تعالى نسأل أن يوفقنا في بحثنا هذا، وأن يسدّدنا إلى الصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

منهجيّة البحث

اتبع الباحثان في دراستهما هذه المنهج الوصفي التحليلي الذي يبيّن المسألة المدروسة ويستقصي الأقوال فيها ويجمعها ويوضحها كماً وكيفاً، ويعرض الأدلة ويناقشها محللاً لها ومرجحاً فيما بينها.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: العلم، باب: باب تعليم الرجل أمته وأهله، برقم: ٩٧.

الدراسات السابقة

لم نجد دراسة مستقلّة تبحث في هذه المسألة، ولكنّ الكلام في كون الكتابيّ مكلّفاً بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلّم واتباعه، وكذلك ذكر من ادّعى من الفرق مثل هذه الدعوى مذكور في كتب الفرق، ومبثوث في التفاسير عند البحث في الآيات ذات العلاقة مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٤]. وهذه المسألة بدأ الكلام فيها ينتشر ويكثر مؤخراً بسبب ما أثاره بعض المعاصرين كما سيأتي تفصيله، وقد لاقى الكلام فيها استحسان وأهواء أقوام فزادوا في الكلام فيها ونشرها أكثر، محتجين بكلام هذا المعاصر بوصفه عالماً في الدين ومجتهداً كما يدّعي. فاقتضى ذلك أن نفرد فيها بحثاً مستقلاً لتسليط الضوء على هذه المسألة، والرد على ما تعلّق به صاحب الدعوى من شبه، مع أنّها من الواضحات لعوامّ المسلمين. فأهميّة هذه الدراسة تكمن في تناولها لأدلة الدعوى وتفنيدها، وردّ الشبه التي انطوت عليها الدعوى.

المبحث الأوّل: الزعم بأن الكتابي غير ملزم باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم وذكر بعض القائلين به

من القائلين بهذا القول من المعاصرين ممن لقوله انتشار في الفضائيات، وعلى الإنترنت، د. عدنان إبراهيم[٢]، وهو أهمّ المعاصرين المتصدّين لإثبات هذا القول، والدعوة إليه، وقد اخترنا نصاً من كلامه يتضمّن أهمّ أدلته التي استدلّ بها.

قال الدكتور عدنان إبراهيم ما نصُّه: «ما انتهى إليه اجتهادي في هذه المسألة المشْكِلة جدًّا...والذي بانَ لي أنَّ الكتابيَّ. يهوديًّا أو نصرانيًّا. ليس ملزَمًا بأكثر مِنْ أنْ يُقرَّ بنبوة محمدٍ، يقول: نعم هذا نبيٌّ. لكنه ليس ملزمًا بأن يتَّبعَه، وأن يتديَّن بشرعه؛ لأنَّه إنْ آمنَ بأنه نبيٌّ ورسولٌ، هو مخيَّرٌ بعد ذلك أن يقيم كتابه، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[سورة المائدة: الآية ٦٨]، لا تقل: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن، انتبه، في آيةٍ أخرى يقول: ﴿أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٦]. إيَّاك أن تخلط، وتقول لي: معناها أُنزل إليكم أي القرآن. هذا كلامٌ فارغ، أُنزل إليكم وليس أُنزل إلينا. إذا آمنَ الكتابيُّ بمحمدٍ في هذا، فلا يعتبر كافرًا بمحمدٍ، لكنه ليس ملزمًا بالاتِّباع، إنْ اتَّبعَهُ فله أجران، النبي

---

(٢) عدنان إبراهيم من مواليد سنة ١٩٦٦م، طبيب وخطيب ومفكر إسلامي فلسطيني، ولد في مدينة غزة، من الخطباء المسلمين البارزين في النمسا، ومن دعاة ما يسمى بحركة إصلاح التراث الإسلامي، له اطلاع على الفلسفة، والأدب، ويجيد عدداً من اللغات الأجنبية. خطيب مسجد الشورى بالعاصمة النمساوية فيينا، ورئيس جمعية لقاء الحضارات فيها، كما أنه يلقي الدروس الدينية والعلمية في المسجد. صاحب مشروع فكري تجديدي ولديه العديد من الأفكار والأطروحات المثيرة للجدل. اشْتهر بتنقيبه في كتب السيرة والبحث عما يعتبره أخطاء تم ارتكابها من بعض الصحابة، كما عُرف بحديثه عن الإلحاد، والأسباب التي تؤدي إليه لدى بعض المسلمين مما جعله يلقي دروساً ومحاضرات بقصد الإجابة العلمية والرد على من يشككون في وجود الله. من الويكيبيديا الموسوعة الحرة باختصار وهو موافق لما في موقعه على فيسبوك.

يقول: «ثلاثة يأتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي»[٣]. والمعنى: أنه إن لم يؤمن بي لكن لم يكفر. لم يتبعني ولم يكفر: فله أجرٌ واحدٌ. لكن إنْ كفَرَ بمحمدٍ، وجَدَّفَ على محمدٍ، واعتبرَه مُهرطقًا وكذابًا؛ شرعُ محمدٍ يقول: إنه قد كفر بما أنزل الله؛ لأن الذي أَنزل ما أَتى به محمدٌ هو الذي أنزل التوراة والإنجيل».

انتهى موضع الشاهد من كلام عدنان إبراهيم، وهو بتمامه على موقع يوتيوب في العنوان التالي: http://www.youtube.com/watch?v=PKQlFBefHMg

وعند تأمل كلام عدنان إبراهيم نجد أنّ كلامه يصرّح أو يقتضي ما يلي:

١ - أنّ أهل الكتاب ليسوا ملزمين بأكثر مِنَ الإقرار بنبوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

٢ - حصرَه كفر أهل الكتاب بكُفر التكذيب بأصل نبوَّته، فلا يعدُّ امتناعهم عن الدخول في دينه وشريعته كفرًا.

٣ - أنَّ اتِّباع أهل الكتاب لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه والتزامهم بطاعته؛ ليس شرطًا في إيمانهم ونجاتهم، بل ذلك فضيلة إن فعلوه فلهم أجران، وليس أمراً واجباً عليهم.

٤ - إقرارُ أهل الكتاب على دينهم المحرَّف، وشرعهم المبدَّل، وعلى جواز التعبد به، واعتبار ذلك كافياً في نجاتهم من العذاب يوم القيامة.

وقريب مما ذهب إليه عدنان إبراهيم في هذه المسألة ذهبت فرقة من اليهود تدعى العيسويّة، كما يذكر الباقلاني: «باب الكلام على العيسوية من اليهود الذين يزعمون

---

(٣) روي بألفاظ مختلفة في الصحيحين وغيرهما، انظر مثلاً: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري، ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، رقم ٥٠٨٣.

أن محمدًا وعيسى عليهما السلام إنما بعثا إلى قومهما، ولم يبعثا بنسخ شريعة موسى عليه السلام.» اهـ[٤]

وقال الغزالي: «العيسوية: حيث ذهبوا إلى أنَّه صلى الله عليه وسلم رسولٌ إلى العرب فقط لا إلى غيرهم، وهذا ظاهر البطلان فإنَّهم اعترفوا بكونه رسولاً حقًّا، ومعلومٌ أنَّ الرسول لا يكذب، وقد ادعى هو أنه رسول مبعوث إلى الثقلين، وبعث رُسُلَه إلى كسرى وقيصر وسائر ملوك العجم، وتواتر ذلك منه، فما قالوه محال متناقض.»اهـ.[٥]

وقال الرازي: «وقال طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية وهم أتباع عيسى الأصفهاني: إن محمدًا رسول صادق مبعوث إلى العرب، وغير مبعوث إلى بني إسرائيل.»اهـ[٦]

وعند مقارنة قول عدنان إبراهيم بقول العيسويّة في هذه المسألة، نلاحظ أنّ قول عدنان إبراهيم يتّفق مع قول العيسويّة في بعض الجوانب، وهو أن اليهود من أهل الكتاب غير ملزمين باتباع النبي صلّى الله عليه وسلّم بل بتصديقه في كونه نبياً فقط، وأنه لا يعدّ عدم اتباعه في شريعته كفراً، وأن اتباعه ليس شرطاً في إيمانهم ونجاتهم، وأن شريعتهم غير منسوخة وصالحة للتديّن بها.

---

(٤) أبو بكر محمد بن الطيب، المعروف بابن الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص ٢١٨، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط الأولى، ١٩٨٧م

(٥) أبو حامد محمد بن محمد الغزَّالي (٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، ص١١١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٤م

(٦) فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، ج١٥، ص٣٨٣، دار إحياء التراث العربي – لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ

ويختلف عن قولهم في أنه لم يصرّح بأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلّم خاصّة بقومه، وأنّ اليهود والنصارى مطلوب منهم -على جهة الندب - أن يتبعوه لا على جهة الوجوب، أما العيسويّة فالمفهوم من قولهم إنّ العرب سواء منهم من كان مشركاً أو يهودياً أو نصرانياً فعليهم ترك دينهم واتباعه؛ لأنه مبعوث إليهم، وكذلك الذين أرسل إليهم عيسى عليه السلام، فهم ملزمون باتباعه ولا يجوز لهم اتباع محمد أو البقاء على شريعة موسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام. ولا يخفى أنهم ينفون كون عيسى عليه السلام قد أرسل إلى بني إسرائيل، وهو ما ذكره القرآن الكريم من أنّ عيسى عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل.

ويحكي البغدادي قريباً من هذا القول عن فرقة من الخوارج تسمّى اليزيديّة، ويذكر العيسويّة، وفرقة أخرى من اليهود تسمّى الرعيانيّة، فيقول: «في ذكر اليزيدية من الخوارج، وبيان خروجهم عن فرق الإسلام. هؤلاء أَتباع يزيد بن أبي أُنيسة الخارجي... ثم إنه خرج عن قول جميع الأمَّة... وكان مع هذه الضلالة يتولى من شهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة من أهل الكتاب، وإنْ لم يدخل في دينه، وسماهم بذلك مؤمنين، وعلى هذا القول يجب أن يكون العيسوية والرعيانية من اليهود مؤمنين؛ لأنَّهم أقروا بنبوة محمد عليه السلام، ولم يدخلوا في دينه. وليس بجائز أن يُعدَّ في فرق الإسلام من يعدُّ اليهودَ من المسلمين.»اهـ(٧)

ويقول ابن حزم: «ذكَرَ بعضُ من جمع مقالات المنتمين إلى الإسلام أن فرقة من الخوارج رئيسهم رجل يدعى يزيد بن أبي أنيسة -وهو غير المحدث المشهور - كان يقول: إنَّ من كان من اليهود والنصارى يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى

(٧) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٩هـ)، الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، ص٢٦٣، دار الآفاق الجديدة – لبنان، ط٢، ١٩٧٧م

العرب لا إلينا»؛ كما تقول العيسوية من اليهود؛ قال: فإنهم مؤمنون أولياء الله تعالى، وإن ماتوا على هذا العقد»اهـ[٨]

والظاهر أنّ قول عدنان إبراهيم هو عين قول اليزيديّة في أهل الكتاب، فهو يعتبرهم مؤمنين كما اعتبرتهم اليزيدية، ويلزم على ذلك نجاتهم وإقرارهم على دينهم إلى آخر ما يلزم قول عدنان إبراهيم.

المبحث الثاني: أهم أدلة من زعم بأنّ الكتابيّ غير ملزم باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم ومناقشتها

اعتمد القائلون بهذا القول على جملة من الأدلة نذكر أبرزها مشفوعاً بمناقشته مناقشةً مفصّلة، ونضع كلّ دليل في مطلب، كما يلي:

المطلب الأول: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٣] إلخ الآيات. والرد عليه.

استدلّ عدنان إبراهيم -كما مرّ- بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٣] إلخ الآيات. يقول: إن هذه الآيات الكريمة تتحدّث عن أهل الكتاب الذين لم يسلموا، وإن اعتبارها في الذين أسلموا منهم كلام فارغ وتحميل للقرآن ما لا تحتمله اللغة.

---

(٨) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، ج٤، ص١٤٤، مكتبة الخانجي– القاهرة

ووجه الاستشهاد بهذه الآية أنها سمّتهم أهل كتاب، فهي تتحدث عنهم بوصفهم أهل كتاب فيجب ألّا يكونوا قد أسلموا؛ لأنّ المسلمين لا يسمَّوْن أهل كتاب.

وبناء على كلامه فالآيات تتكلّم عن فرقتين من أهل الكتاب لم يسلموا، ولا تتناول من أسلموا منهم:

الفرقة الأولى: يهود ونصارى -لم يسلموا - هم كما وصفهم الله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآيات ١١٣ -١١٥].

الفرقة الثانية: يهود ونصارى لم يسلموا، وينبغي أن يكونوا على خلاف أوصاف الأمة الأولى، فليسوا موصوفين بالصفات الثماني السابقة، فليسوا قائمين ولا يتلون آيات الله... إلخ كما سيأتيك، بل هم موصوفون بأضدادها.

وبناء على كلامه أيضاً فلا يجوز أن يدخل في أهل الكتاب هنا، ولا أن يوصف بأنه كتابي أو من أهل الكتاب من كان كتابياً وأسلم.

وليعلم -قبل أن نناقش كلامه - أن له أن يختار أنّ الآية الكريمة تنفي المساواة بين فريقين من أهل الكتاب الذين لم يسلموا، هذا المعنى ممكن وقد وجد من العلماء من قال ذلك كما سيأتي، ولكن لا أحد ممن اختار هذا القول قال إن أولئك الصالحين الموصوفين بالصفات الحميدة أدركوا النبي صلى الله عليه وسلّم. بل قالوا إنهم قضوا نحبهم ولم يدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولو أدركوه لأسلموا. وأما من قال إنهم من أهل الكتاب وأدركوا النبي صلى الله عليه وسلّم، فإنهم جميعاً قالوا إنهم آمنوا به واتبعوه ودخلوا في الإسلام.

والذي يقرره عدنان هنا أن هذه الفرقة الصالحة من أهل الكتاب وجدت قبل الإسلام، ووجدت في عصر النبيّ الكريم، وموجودة في عصرنا ويمكن أن توجد في أي زمان من الأزمنة. وهي مع كونها باقية على دينها فهي موصوفة بالإيمان بالله واليوم الآخر...إلخ من الصفات المذكورة، وأنّ تكليفها منحصر في الإيمان بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم فقط، وليسوا مكلفين باتباعه، فإن اتبعوه وأسلموا فلهم أجران، وإن لم يسلموا ولم يتّبعوه فهم ناجون ولهم عند الله أجر واحد.

ولا نخالف عدنان في أن هذه الفرقة وجدت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلّم في زمن رسلهم عليهم السلام، وبعد زمن رسلهم إلى زمن البعثة فهذا محلّ اتفاق. ولكنّنا نخالفه فيمن وجد منهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلّم وما بعده، فنجزم بأن من بلغته دعوته صلى الله عليه وسلّم -سواء كان معاصراً لرسول الله أو وجد بعد وفاته صلى الله عليه وسلّم - فلا يسمى مؤمناً ولا يمكن وصفه بشيء من تلك الصفات، ولا يمكن أن يكون ناجياً إلا إذا أسلم واتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام. فهذا تحرير محلّ النزاع الرئيس معه، وفي ثنايا المناقشة منازعات أخرى سيأتيك تفصيلها وبيانها إن شاء الله تعالى.

مناقشة الدليل الأول:

أولاً: إن وصفه كلام من قال: "إن أهل الكتاب هنا هم من أسلموا" بأنه كلام فارغ، وتحميل للقرآن ما لا تحتمله اللغة خطأ فاحش؛ لأنه يجوز أن يسمى المسلم الذي كان كتابياً وأسلم بالكتابي على اعتبار ما كان. وهذا النوع من التجوز متَعالَمٌ مشهور يعرفه القاصي والداني، وإنك لتجده في القرآن الكريم نفسه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾[سورة النساء: الآية ٢] أي من كانوا يتامى فعند رشدهم آتوهم أموالهم. ومثله: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ [سورة النساء: الآية ٦] أي البالغين الكبار،

وسماهم يتامى باعتبار ما كانوا عليه من قبل. وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٣٢] فإن أريد المطلّقون لهنّ فهو مجاز باعتبار ما كان، وإن أريد به من يردن أن يتزوجنه فهو مجاز أيضاً باعتبار ما سيكون، إلى غير ذلك من الأمثلة.

ولا يجوز في هذه الأمثلة أن يكون المراد المعنى الحقيقيّ لليتامى، والأزواج؛ لأنّ القرائن تمنع ذلك. وكذلك الحال في نظر العلماء الذين جعلوا أهل الكتاب هنا هم من أسلم منهم. فهنالك قرائن كثيرة محتفة بهذه الآية تصرف أهل الكتاب أن يكون المقصود بهم من لم يسلم منهم، وتجعلها لنفي المساواة بين الكتابيين الذين آثروا البقاء على كفرهم وبين الذين أسلموا منهم.

فإن قيل: لقد تحدثت الآيات عنهم ووصفتهم بالكتابيين، فلم لم يصرّح القرآن بأنهم قد أسلموا، فالجواب من جهات منها: أن الآيات الكثيرة التي قبل هذه الآية تتحدّث عن أهل الكتاب، والآية تتحدث عن أهل الكتاب فلم يقطع هذا الانسياب في الكلام عن أهل الكتاب، ليسميهم أهل الكتاب الذين أسلموا أو نحو ذلك، واكتفى بأهل الكتاب، ومنها أنه وصفهم بأوصاف أوقعها بدل ذلك، فبدل أن يقول: الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ودخلوا دينه واتبعوه إلخ، أتى بوصف أخص منه يتضمنه وزيادة، فهذه الأوصاف أخصّ من المسلم، فكأنه كنّى عنهم بذكر صفاتهم، ولذلك قال أبو حيان في وصف الله لهم بالصالحين: "الظاهر أنَّ في الوصف بالصلاح زيادةً على الوصف بالإسلام، ولذلك سأل هذه الرتبة بعض الأنبياء"اهـ[٩]

(٩) أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ج٣، ص٣١٥، دار الفكر-لبنان، ١٤٢٠هـ

وبناء عليه فلا يقال: كيف عرفتم أنهم أسلموا وقد سمّاهم أهل كتاب؟ لأنّا نقول: قد ذكر أوصافاً لهم أخص من كونهم مسلمين، ووجود الأخص يستلزم وجود الأعمّ.

ثمّ إنّ المدَّعى أنّه سمّاهم أهل كتاب -مع كونهم أسلموا - باعتبار ما كانوا عليه قبل إسلامهم لوجود تلك القرائن وذلك السياق القويّ. فلا يتم نقضه للدعوى بمجرّد شاهد التسمية إلا أن تُردَّ القرائن الكثيرة التي تحيط بالآية، وتُفَسَّر بالنظر إلى أنّ أهل الكتاب هنا بقوا على دينهم ولم يسلموا، وأنى له ذلك! ولو تكلّف ذلك سيواجه قواطع قرآنية تردّ خصوص قوله بأنهم موصوفون بتلك الأوصاف حال بقائهم على دينهم بعد بلوغ دعوة الإسلام إليهم. وبسبب تلك القرائن رجّح جماهير العلماء هذا القول الذي وصفه عدنان إبراهيم بأنه كلام فارغ!

هذا وإنّ اللغة لتسمي كلّ من يقرؤون الكتب أهل كتاب، ولو قال أحد إن المسلمين أهل كتاب باعتبار أنّ لهم كتاباً لصحّ ذلك لغة، وبه فُسر قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[سورة فاطر: الآية ٣٢][١٠]، بل لم يجد بعض المفسرين غضاضة في إدخال المسلمين في أهل الكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗ ... ﴾ الآية باعتبار أن الكتاب هنا جنس كتب الله تعالى وليس هو المعهود من التوراة والإنجيل[١١]، وإن كنا نراه ضعيفاً لمخالفته عرف القرآن في استعمال "أهل الكتاب"، إلا أنّه يبقى محتملاً من حيث الاحتمال ولا يصادم اللغة ولا الشرع ولا

---

(١٠) انظر مثلاً: ابن محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٠، ص٣١٨١، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(١١) انظر مثلاً: ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز، ج١، ص٤٩٢، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

العقل. فمن حيث تقدم ذكر هذه الأمة في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠]، وتقدّم ذكر اليهود بكلّ مساوئهم أيضاً قال الله تعالى لنبيه: ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ الآية. والكتاب على هذا جنس كتب الله وليس بالمعهود من التوراة والإنجيل فقط.

ثانياً: الإظهار في موضع الإضمار يردُّ كونهم بقوا على دينهم، فقد قال تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ ﴾ ، ولم يقل منهم أمة مع أنّه تقدّم ذكرهم؟

وهذا الإظهار في موضع الإضمار يفيد أموراً تدلّ على أنّهم أسلموا، منها:

-أنه ذكرهم بعنوان أهليةِ الكتابِ؛ لأن أهلية الكتاب موجبة للإيمان بكتابهم الناطق بوجوب الإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وبما يصدّقه من القرآن العظيمِ كما ورد في هذه السورة نفسها التي منها الآية قيد البحث ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران: آية ٨١] فهذا العنوانُ أي: أهلية الكتاب يستدعي الإيمانَ بما هو مصدِّقٌ لما معهم. ويوضحه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[سورة البقرة: الآية ١٢١].

قال الألوسي: "ووضع أهل الكتاب موضع الضمير زيادة في تشريفهم والاعتناء بهم."اهـ(١٢)

(١٢) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)، روح المعاني، ج٢، ص٢٤٩، دار الكتب العلميّة-لبنان، ط١، ١٤١٥هـ

-ومن الفوائد أيضاً أنه لما كان الكلام منصبّاً على اليهود في الآيات السابقة ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٢]، أراد سبحانه أن يعمم الحكم، قال: القُنْيَوِيُّ عند قول البيضاوي: "وهم الذين أسلموا منهم": "كعبد الله بن سلام وأصحابه وثعلبة بن سعد وأسيد بن عبيد، فعلم من هذا أن المراد من أهل الكتاب اليهود والنصارى والمراد من أهل الكتاب الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة اليهود فقط، فالمضروب عليهم الذلة خاص باليهود بدلالة ما في سورة البقرة وما قبله، وما بعده عام لأهل الكتابين فاتضح سر إظهار أهل الكتاب هنا موضع المضمر."اهـ(١٣)

وقال ابن عاشور: "عدل عن أن يقال: منهم أمّة قائمة إلى قوله: من أهل الكتاب؛ ليكون ذا الثّناءُ شاملًا لصالحي اليهود، وصالحي النّصارى، فلا يُختصّ بصالحي اليهود"اهـ.(١٤)

-ومن فوائده أيضاً أنه لما ذكر قبلها ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[سورة آل عمران: الآية ١١٢]الآية، فلو قال بعده منهم أمة لربما تُوهّم أن هذه الأمة من هؤلاء الكافرين القتلة.

-ومن فوائده كذلك أن الله تعالى أراد أن يحتج على أولئك الذين لم يسلموا لمّا سمعوا الحق، بهؤلاء الذين أسلموا؛ كأنه قال لهم هؤلاء طلاب الهدى والرشاد قد أسلموا دونكم أنتم، على وزان قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ

---

(١٣) عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي القُنْيَوِيُّ (١١٩٥هـ)، حاشية القُنْيَوِيُّ على تفسير البيضاوي، ج٦، ص٢٧٨، دار الكتب العلميّة-لبنان، ط١، ٢٠٠١م

(١٤) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (١٣٩٣هـ)، تفسير التحرير والتنوير، ج٤، ص٥٧، الدار التونسية للكتب، تونس، ١٩٨٤م

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الأحقاف: الآية ١٠].

ثالثاً: سبب النزول يرد هذا المعنى الذي قرره. فقد روي أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد -صلّى الله عليه وسلّم - إلا شرارنا، ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[١٥]

قال ابن العربي: "نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، وعليه يدل ظاهر القرآن؛ ومفتتح الكلام نفي المساواة بين من أسلم منهم وبين من بقي منهم على الكفر، إلا أنه روي عن ابن مسعود أن معناه نفي المساواة بين أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف. وقد روي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أهل الكتاب." اهـ[١٦]

وهذا الذي ذكره عن ابن مسعود أنها صلاة العَتَمة، وذكر أنّ سبب نزولها هو احتباس النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة العتمة وكان عند بعض نسائه فلم يأت حتى مضى الليل، فجاء ومنهم المصلي ومنهم المضطجع فقال عليه الصلاة والسلام: (أبشروا فإنه ليس أحد من أهل الكتاب يصلي هذه الصلاة) أو قال: (إنه ليس من أهل

---

(١٥) أخرجه البيهقي في الدلائل، ج٢/ص٥٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، وسنده حسن. وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ج٦/ص٣٢٧، مكتبة المقدسي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ. وعزاه الشوكاني لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مندة في الصحابة، وأبو نعيم وابن عساكر. انظر فتح القدير ج١/ص٣٧٤، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

(١٦) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، ج١، ص٣٨٦، دار الكتب العلميّة-لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م

الأديان أحد يذكر الله تعالى في هذه الساعة غيركم، وتلا هذه الآية ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ -إِلَى قَوْلِهِ: -﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[١٧]).[١٨]

ولهذا السبب نجد أنّ ابن مسعود رضي الله عنه قد اختار أن قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ عائد على اليهود وهذه الأمة. وعلى أيّ حال، فباعتبار كونها في المكتوبة وليست في التهجّد يكون هذا وجهًا دالاً على كونها فيمن أسلم من أهل الكتاب لا فيمن لم يسلم؛ لأنّه ليس في شرع غير المسلمين صلاة العشاء، ولكن في شرعهم صلاة التهجّد. فهذان سببا النزول المذكوران في هذه الآية ولا يوجد غيرهما، وكلاهما لا يساعدان عدنان إبراهيم في تقرير المعنى الذي يريده كما لا يخفى.

رابعاً: عند تتبع أقوال المفسرين في مدلول أهل الكتاب في هذه الآية، وجدناها منحصرة فيما يلي:

القول الأول: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ودخلوا الإسلام وهو قول الجمهور ومنهم: الطبري والنسفي والزمخشري وابن عطية وابن كثير، وقول البيضاوي وأبي السعود والألوسي وغيرهم كثير عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة.

وننقل مثلاً من المذكورين قول الزمخشري: "الضمير في ﴿لَّيْسُواْ﴾ لأهل الكتاب، أي ليس أهل الكتاب مستوين. وقوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الكتاب أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ كلام مستأنف

---

(١٧) أخرجه أحمد: المسند ٣٩٦/١، والنسائي: تفسير النسائي ص٣٥، وصححه ابن خزيمة من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود. انظر ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، العجاب في بيان الأسباب، ج٢، ص٧٣٧، دار ابن الجوزي.

(١٨) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، ص١٢٣، دار الكتب العلميّة-لبنان، ط١، ١٤١١م

لبيان قوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَاءً﴾ كما وقع قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بالمعروف﴾ بياناً لقوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. و﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة عادلة، من قولك: أقمت العود فقام، بمعنى استقام، وهم الذين أسلموا منهم. وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود؛ لأنه أبين لما يفعلون؛ وأدل على حسن صورة أمرهم."اهـ[١٩]

القول الثاني: المراد من أهل الكتاب الذين آمنوا بشريعة موسى وعيسى عليهما السلام واستقاموا على ما في أيديهم مما يعلمون أنه غير محرف، وعملوا بها وداموا على ذلك إلى أن جاء الإسلام فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه.

كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة القصص: الآيتان ٥٢ -٥٣].

وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة المائدة: الآيتان ٨٣ -٨٤].

واختاره أيضاً البقاعي وصاحب المنار وغيرهما[٢٠]، قال ابن عاشور: "فإن صالحي اليهود قبل بعثة عيسى كانوا متمسكين بدينهم، مستقيمين عليه، ومنهم الذين آمنوا بعيسى واتبعوه، وكذلك صالحو النصارى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١٩) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، ج١، ص٤٠٢، دار الكتاب العربي-لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ

(٢٠) انظر مثلاً: إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، نظم الدرر، ج٥، ص٣١، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، ومحمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، ج٤، ص٥٥، الهيئة المصريّة العامة للكتاب-مصر، ١٩٩٠م.

كانوا مستقيمين على شريعة عيسى وكثير منهم أهل تهجد في الأديرة والصوامع وقد صاروا مسلمين بعد البعثة المحمدية."اهـ[٢١].

القول الثالث: قول أبي زهرة في تفسيره حيث جعل الآية فيمن مات قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "وعندي أن الآية الكريمة في أهل الكتاب الماضين الذين استقاموا على الحق، ولم يدركوا عصر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن القرآن الكريم تكلم عن ماضي أهل الكتاب وحاضرهم، فحاضرهم كان سوءاً، وذكر ماضيهم فبين أن بعضه كان سوءاً وكان منهم أمة مقتصدة، فهذه الأوصاف في الأمة المقتصدة التي مضت، ويصح أن تطلق على المخلصين من أهل الكتاب الذين لم يبلغوا دعوة الإسلام، وكان فيهم إخلاص للحق وطلب له وإجابة لداعيه إن دعوا إليه، ويكونون داخلين بالقياس على الماضين"اهـ[٢٢].

ونلاحظ أن العلماء الذين قالوا إن المراد بأهل الكتاب من كانوا يعملون بكتابهم قبل مجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لم يقل أحد منهم إن هؤلاء بقوا يعملون بكتابهم بعد مجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا مخالف للقواطع القرآنية وأقربها ما ذكر في سورة آل عمران نفسها قبل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨١].

---

(٢١) التحرير والتنوير ج٤، ص٥٦-٥٧: مرجع سابق

(٢٢) محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ)، زهرة التفاسير، ج٣، ص١٣٦٨، دار الفكر العربي-مصر

فهذه هي جميع الأقوال التي وجدناها في تفسير أهل الكتاب في الآية الكريمة، وقد تركنا قول ابن مسعود الذي جعل الآية لنفي المساواة بين أهل الكتاب وأمّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم لتضعيف المفسرين له، وقد ذكرناه فيما مضى. فإن شئت اجعله قولاً رابعاً. وبذلك يكون عدنان إبراهيم قد استحدث قولاً جديداً على خلاف ظواهر الشريعة وقواطعها مما لم يقل به أحد قبله.

خامساً: الأوصاف الثمانية الواردة في الآية الكريمة وما تلاها التي ادعى عدنان إبراهيم أنها صفات أمة من أهل الكتاب لم يسلموا، لا نراها تجتمع إلا في بعض المسلمين من أصحاب الاستقامة والعبادة والصلاح وليس في مطلق المسلمين كما هو ظاهر. أما أهل الكتاب الذين لم يسلموا فلا تكاد تجد فيهم وصفاً من هذه الصفات فضلاً عن أن تجتمع فيهم.

قال الزمخشري: "وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين، ومن الإيمان بالله؛ لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عُزيراً، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض. ومن الإيمان باليوم الآخر؛ لأنهم يصفونه بخلاف صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم كانوا مداهنين، ومن المسارعة في الخيرات؛ لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها. والمسارعة في الخير: فرط الرغبة فيه؛ لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي"اهـ[٢٣]

فمن هم أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

(٢٣) الكشاف ٤٠٣/١ (مرجع سابق)

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ؟ ولو سلّمنا جدلاً وجود هؤلاء دائماً على تفسير محمد عبده لـ(قائمة) بالموجودة ثابتة على الحقّ، وتكلّفنا تفسير تلاوتهم آيات الله كما تكلّفه ببعض الأدعية والأذكار التي عندهم مما لم يطله التحريف...إلخ ما ذكره صاحب المنار[٢٤]؛ ليجعل هذا القول سائغاً، فكيف يتصوّر أن تبلغ مثل هؤلاء دعوة النبي صلى الله عليه وسلّم ولا يدخلوا في الإسلام؟!

وقد تأمّلنا هذه الأوصاف الثمانية وما قال المفسرون في معناها، فما وجدنا منها شيئاً ينطبق على أمّة موجودة من أهل الكتاب، فكيف باجتماعها جميعها في تلك الأمّة:

أ: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ابن كثير: قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه، متبعة نبي الله فهي قائمة يعني مستقيمة[٢٥]. الحسن وابن جريج: عادلة. السدي: قائمة بطاعة الله. قتادة والربيع وابن عباس: ثابتة على أمر الله تعالى[٢٦].

وهذه الأوصاف ليست لأهل الكتاب. أما العدالة فهم ساقطو العدالة، فكيف يكونون عدولاً وقد أشركوا بالله ووصفوه بمنكرات الصفات وكذبوا على ربهم وحرّفوا دينهم؟! وأما توحيد الله فهم من أبعد الناس عنه، كيف وهم المجسمة والمشبهة والمثلثة؟! وأما قيامهم بأمره تعالى وإطاعتهم لشرعه تعالى، واتباعهم لنبيه صلى الله

---

(٢٤) انظر تفسير المنار: ٥٩/٤ (مرجع سابق)

(٢٥) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٠٥، دار طيبة للنشر-الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٢٦) أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، ج١، ص٤١٧، دار الكتب العلمية-لبنان.

عليه وسلم، فهم أبعد الناس عن ذلك! لا بل إن عدنان يقول: إنهم لم يتّبعوا نبيه ولم يتشرعوا بشرعه، فتكون جميع هذه الأوصاف ساقطة بكفرهم وشركهم وعدم اتباعهم. فلا يصدق وصف الأمة القائمة بأهل الكتاب الذين لم يسلموا ممن بلغتهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلّم. ولذلك اختار أبو زهرة أنهم الماضون الذين استقاموا على الحق، ولم يدركوا رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لا يتصوّر أن يوجد كتابي بهذه الصفات ويدرك عصر النبوة ثمّ لا يسلم.

ب: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾

المقصود بآيات الله هنا هو القرآن الكريم، ويصعب حقاً أن يقول قائل إن المقصود هنا هو التوراة والإنجيل؛ لأنّ الله تعالى أخبر أنهم بدلوهما، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٩]، وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧٨]. فلا يجوز أن يقال عن التوراة التي في أيدي اليهود اليوم إنها آيات الله تعالى، ولا يجوز أن يقال عن هذه الأناجيل الأربعة إنها آيات الله تعالى. ومثل هذه الكتب لا يصحّ أن يتعبّد بتلاوتها. فبقي القرآن الكريم، ولا يقول عاقل: إن بعض اليهود والنصارى ممن لم يسلموا يتلون القرآن الكريم آناء الليل متعبدين به سواء في صلاة تهجد أو بلا صلاة أصلاً.

وأما من جعل الآية في الذين لم يسلموا من أهل الكتاب فيلزمه أن يحلّ هذا الإشكال. فيقول أبو زهرة: "آيات الكتاب التي يتلونها على ذلك هي البقية الصحيحة

من كتبهم التي تشتمل على أدعية كلها توحيد وضراعة ونحو ذلك من أمثال بعض مزامير داوود.."اهـ[٢٧].

وقال محمد رشيد رضا: "أما قوله تعالى: يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فمعناه على القول بأن المراد بهم من دخل في الإسلام ظاهر، وعلى القول الآخر المختار أنهم يتلون ما عندهم من مناجاة الله ودعائه له والثناء عليه عز وجل، وهي كثيرة في كتبهم لا سيما زبور (مزامير) داود... "اهـ[٢٨] ثم شرع في ضرب أمثلة من المزامير. ولا يخفى ما في هذا التفسير من تكلّف، وما يعتريه من وهنٍ بملاحظة ما ذكر في القرآن الكريم من وصف أهل الكتاب لما فعلوا في دينهم وكتبهم. فأنت ترى كم تقوِّي هذه القرينة القول بأنهم أسلموا، وتعلم لم اختار جماهير العلماء القول بأنها فيمن أسلم.

ج: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

ووجه الاستدلال به هنا أننا لما نهينا عن تلاوته في سجودنا قال المفسرون إن المقصود الصلاة به[٢٩]. وقالوا هي صلاة التهجد لا المكتوبة؛ لأنّ ذلك أدخل في مدحهم؛ ولأنّ المكتوبة لا يقرأ فيها غير الإمام. وقال بعضهم: بل هي المكتوبة، واستدلّوا بحديث ابن مسعود الذي سقناه في "ثالثاً" عند الحديث عن سبب نزول الآية، حين انتظر الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء. فباعتبار كونها

---

(٢٧) انظر زهرة التفاسير: ١٣٦٨/٣ (مرجع سابق)

(٢٨) انظر تفسير المنار: ٦٠/٤ (مرجع سابق)

(٢٩) انظر مثلاً: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، ج٥، ص٤٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ.

في المكتوبة يكون هذا وجهًا دالاً على كونها فيمن أسلم من أهل الكتاب لا فيمن لم يسلم ؛ لأنّه ليس في شرع غير المسلمين صلاة العشاء.

واضطر صاحب المنار إلى أن يتأوّل السجود أيضاً ؛ لأنا لا نعرف لأهل الكتاب سجوداً كسجودنا. فقال : "أما السجود الذي أسنده إليهم فهو إما عبارة عن صلاتهم ، وإما استعمال له بمعناه اللغوي وهو التطامن والتذلل كما تقدم في تفسير قوله تعالى في خطاب مريم : ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾"اهـ(٣٠)

د : ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

القرآن الكريم في الغالب يذكر طرفي الإيمان ويريد ستة الأركان ، فيطوي أركان الإيمان بين طرفيه ، ويدلّ عليه قوله تعالى في سورة النور : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[سورة النور : الآية ٢]فالخطاب للمؤمنين وهم مؤمنون بجميع الأركان. فلا يتوهّمن أحدٌ من الآيتين اللتين احتجّ بهما أنه قصد خصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

فالاكتفاء من أركان الإيمان بالله واليوم الآخر لفائدتين :

الأولى : لأنهما قطرا الإيمان ، ومن أحاط بهما فقد حاز الإيمان بحذافيره ؛ لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على أن يقر بكل ما يجب الإيمان به ويثاب عليه في ذلك اليوم ، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً الإيمانُ بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم.

---

(٣٠) انظر تفسير المنار: ٤/٦٠ (مرجع سابق)

قال الخازن: "﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾؛ وذلك لأن إيمان أهل الكتاب فيه شرك، وهم يصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون."اهـ(٣١)

قال أبو حيان: "الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو الحامل على عبادة الله وذكر اليوم الآخر؛ لأنّ فيه ظهور آثار عبادة الله من الجزاء الجزيل. وتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالأنبياء؛ إذ هم الذين أخبروا بكينونة هذا الجائز في العقل ووقوعه، فصار الإيمان به واجباً"اهـ(٣٢)

قال القُنْوَيُّ: "والاكتفاء في قوله تعالى: "يؤمنون بالله واليوم الآخر" بهما دون بقية أركان الإيمان؛ لأنهما قطرا الإيمان"اهـ(٣٣) أي طرفا الإيمان اللذان من حازهما فقد حصّل جميع الأركان، فالإيمان بهما يستلزم الإيمان بجميع الأركان.

الثانية: إظهاراً لمخالفتهم لسائر اليهود؛ لأن إيمان أهل الكتاب باليوم الآخر كلا إيمان لما فيه من تحريف فما عليه المؤمنون ومن يؤمن هو الإيمان الحقيقي باليوم الآخر.

قال الألوسي: "المراد بهذا الإيمان الإيمان بجميع ما يجب الإيمان به على الوجه المقبول، وخص الله تعالى اليوم الآخر بالذكر إظهاراً لمخالفتهم لسائر اليهود فيما عسى أن يتوهم متوهم مشاركتهم لهم فيه؛ لأنهم يدّعون أيضاً الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر لكن لما كان ذلك مع قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٠]

---

(٣١) علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (٧٤١هـ)، لباب التأويل، ج١،ص٢٨٧، دار الكتب العلميّة-لبنان، ط١، ١٤١٥هـ

(٣٢) البحر المحيط: ٣١٢/٣ (مرجع سابق)

(٣٣) حاشية القُنْوَيُّ: ٢٨٠/٦ (مرجع سابق)

وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف ما نطقت به الشريعة المصطفوية جعل هو والعدم سواء"اهـ[٣٤]

وبناء على ما مضى نقول: لا نسلّم أنهم مؤمنون بالله وحده حق الإيمان، بل هم به تعالى مشركون، وله تعالى مجسمون ومشبهون، وقد كفّرهم الله تعالى في كثير من الآيات، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[سورة التوبة: الآية ٣١]. فلا يكونون محققين لركن الإيمان به تعالى. وكذا لا نسلّم إيمانهم بجميع رسله على الوجه الحق، فسيدنا المسيح بعث لبني إسرائيل فمن آمن به وتبعه صار نصرانياً ومن لم يؤمن به ولم يتبعه وبقي يهودياً فهو كافر بنصّ القرآن. قال تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ ﴾[سورة الصف: الآية ١٤]. فمن لم يؤمن من اليهود بسيدنا عيسى ومن لم يتبعه فهو كافر. وأما النصارى فهم لم يؤمنوا بسيدنا المسيح رسولاً ونبيّاً بل آمنوا به إلهاً، فلا يكونون محققين لركن الإيمان بالرسل، وأما إيمان الفريقين برسول الله سيدنا محمد فلا ندري أيّ معنى للإيمان به دون اتباعه.

ومثل ذلك يقال في الإيمان بالكتب فاليهود حرّفوا التوراة وكتبوا بأيديهم كلاماً من عندهم ونسبوه إلى الله تعالى فكفروا بذلك، ثمّ من لم يؤمن منهم بالمسيح عليه السلام فلا يكون مؤمناً بالإنجيل، ولا ندري مذهب عدنان إبراهيم فيما يتعلّق بالإيمان بالقرآن الكريم، فهو لم يصرّح بأنّه يجب على أهل الكتاب الإيمان بالقرآن الكريم

---

(٣٤) روح المعاني: ٢/٢٥٠ (مرجع سابق).

كلاماً لله تعالى وكتاباً منزلاً منه على رسوله ويوجب عليهم الإيمان بما فيه؟ فإن كان لا يقول بذلك فليسوا محققين لركن الإيمان بالكتب، وإن كان يقول بذلك، فالقرآن نفسه يوجب على أهل الكتاب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فكلامه متناقض على كلا الوجهين.

هـ: ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٤].

الذي نراه هنا أربعة أوصاف هي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمسارعة في الخيرات، وكونهم من الصالحين. وهذه الأوصاف ليست أوصافاً لأهل الكتاب وبخاصة اليهود، بل إننا نجدها في القرآن الكريم أوصافاً لأمّة سيد المرسلين؛ لأنها خير أمّة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهذه الأوصاف كالأربعة التي قبلها تعريض بأهل الكتاب وباليهود خاصّة. فقد قال تعالى في أهل الكتاب خلاف ما أثبته للمسلمين هنا فقال تعالى فيهم: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٩].

فنفى عنهم النهي عن المنكر، ومن لا ينهى عن المنكر فأولى به ألّا يأمر بالمعروف.

وقال تعالى فيهم: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٢ -٦٣].

ونقول أيضاً: أي معروف يأمر به من يأمر إن لم يكن باتباع سيدنا محمد فيما أمر به، وأي منكر ينهى عنه من ينهى إن لم يكن مما نهى عنه سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم، وأي خيرات تلك التي يسارع فيها من يسارع إن لم تكن الواجبات والمندوبات وفضائل الأعمال التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

ولقد استقرينا جميع الآيات الأخرى التي جاء فيها ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوجدناها جميعها منطبقة على المسلمين المتبعين لسيدنا محمد ممن رزقوا الاستقامة والصلاح، وأنه لا يمكن أن تكون في اليهود والنصارى الذين لم يسلموا.

فانظر في الآيات التي ذكر فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ١٠٤ -١٠٥]. فأُمرت هذه الأمّة بذلك، ونُهِيَت عن أن تكون مثل أهل الكتاب.

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٧١]. وهذه في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم قطعاً كما هو ظاهر من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلّم.

وقال تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١١٢]. وهذه في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم كما هو ظاهر من ذكر الحدود.

وقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج: الآية ٣٩ -٤١]. وهذه في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم كما هو ظاهر كعين الشمس.

ومن يتدبّر هذا الموضع الذي نحن فيه يعلم أنّ الآية في سياقها إنما هي في المسلمين، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآيات ١١٠ -١١٥].

فأنت ترى أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنيطت بخير أمّة أخرجت للناس، هداها الله تعالى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلّم، ثم أمرها سبحانه بتكميل الغير وإرشادِهم إثرَ أمرِهم بتكميل النفس وتهذيبها بما سبق ذلك من الأوامر والنواهي.

ومما مضى من بيان يظهر بكل وضوح لكلّ منصف أنّ قوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ هي فيمن أسلم من أهل الكتاب كما بيّناه، وليست فيمن بقي على دينه منهم كما ذكره عدنان إبراهيم. وبان لك خطؤه الفاحش في هذا الاجتهاد والاستدلال بهذه الآية.

المطلب الثاني: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٨] والرد عليه.

استدلّ عدنان إبراهيم بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٨]. وما يريده عدنان إبراهيم هنا هو أنهم إن أقاموا التوراة والإنجيل فهم على شيء أي أنه يُعتدّ بدينهم حتى لو لم يتبعوا سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام. ودليله أنّ المقصود هنا بقوله: "مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ" هو التوراة والإنجيل وليس القرآن، بشاهد قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٦]. فإذا أقاموهما فهم على شيء.

ونلاحظ أن عدنان قد صنع مع قول الجمهور في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ من أنّه القرآن الكريم، عين ما صنع مع قول الجمهور في قوله تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾، فهو يسمّيه كلاماً فارغاً أيضاً، ويحذرنا أن نأخذ بقولهم فنخلط كما كانوا يخلطون. ومشكلة عدنان مع قول الجمهور أنه لو سلّمه

لانتقض قوله: إن اليهود والنصارى لا يجب عليهم اتباع النبي صلى الله عليه وسلّم. فاضطرّ إلى نفي هذا القول. وخلاصة ما استدل به وجهان:

الأوّل: أن الآية الكريمة قالت: ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكُم﴾ وبما أن المخاطب هم أهل الكتاب، فما أنزل إليهم هو التوراة والإنجيل وكتب أنبيائهم وليس القرآن؛ لأنه لم ينزل إليهم بحسب زعمه.

والثاني: استناده إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٤٦].

ولم يبيّن وجه الدلالة، ونحن نتبرّع ببيانه: فالآية هنا قد ميّزت بين ما أنزل إلينا وما أنزل إليهم. ووجه الاستدلال بها أن القرآن العظيم ما دام قد ميّز وفرّق بين ما أنزل إلينا وما أنزل إليهم هناك فيجب أن يميّز بين ما أنزل إلينا وما أنزل إليهم هنا. هذا تقرير دليليه.

ويجاب عن الوجه الأوّل بما يلي:

أولاً: أنّه لا سبيل إلى أن يقيم الكتابي التوراة والإنجيل؛ لوقوع التحريف في شريعته من جهة كما تقدّم آنفاً عند بيان المقصود من قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾؛ ولانتساخ تلك الشريعة من جهة أخرى. وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

قال الإمام الشافعي: "فلم يبق خلق يعقل منذ بعث الله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كتابي، ولا وثني، ولا حي ذو روح من جن ولا إنس بلغته دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا قامت عليه حجة الله -عز وجل- باتباع دينه، وكان مؤمنًا باتباعه، وكافرًا بترك اتباعه، ولزم كل امرئ منهم -آمن به، أو كفر- تحريم ما حرم الله -عز وجل- على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، كان

مباحًا قبله في شيء من الملل أو غير مباح، وإحلال ما أحل على لسان محمد صلى الله عليه وسلم كان حرامًا في شيء من الملل، أو غير حرام"اهـ[٣٥]

فشرع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم ناسخ لجميع الشرائع السابقة، ولا يقبل عمل من أحد إلا إذا وافق شرعه صلى الله عليه وسلّم. قال صلى الله عليه وسلّم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣٦] أي مردود عليه، وغير مقبول منه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الموصول هنا إن كان المقصود به التوراة والإنجيل فقد ذكرهما قبلُ فيكون فضلة، وخلافَ الظاهر من مغايرته لهما بدليل عطفه عليهما، وإن كان غيرهما فماذا يمكن أن يكون إلا أحد احتمالات ثلاثة كما ذكره المفسّرون:

أ: القرآن الكريم، وهو قول جمهور المفسّرين، وهذا الاحتمال وهو أنّ المقصود القرآن الكريم مرفوض عند عدنان إبراهيم؛ لأنّه يقول إنّ القرآن لم ينزل إليهم كما مرّ.

ومن القائلين بأنه القرآن: الطبري، وابن كثير، والراغب، وابن عطية ونسبه لابن عباس، وأبو السعود، وأبو الليث السمرقندي، والثعالبي، والنسفي، والألوسي، وأبو زهرة، ومحمد رشيد رضا، وابن عاشور وغيرهم.

وفيما يلي ذكر أقوال بعض المذكورين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بناء على هذا القول:

---

(٣٥) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، الأم، ج٢، ص٢٦٦، دار المعرفة–بيروت، ١٩٩٠م.

(٣٦) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب النجش، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره له: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل، لستم على شيء مما تدعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى صلى الله عليه وسلم معشر اليهود، ولا مما جاءكم به عيسى معشر النصارى، حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من الفرقان، فتعملوا بذلك كله وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه، وتقروا بأن كل ذلك من عند الله، فلا تكذبوا بشيء منه ولا تفرقوا بين رسل الله فتؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض، فإن الكفر بواحد من ذلك كفر بجميعه؛ لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً، فمن كذب ببعضها فقد كذب بجميعها.

وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الأثر:

عن ابن عباس قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعُ بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حرملة، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، وأنا بريء من إحداثكم».

قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك ولا نتبعك. فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ

أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[سورة المائدة: الآية ٦٨] إلى قوله ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾".اهـ(٣٧)

وقال ابن كثير: "حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته، ولهذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: يعني القرآن العظيم".اهـ(٣٨)

وتنبه إلى علّة قول مجاهد أنّ المقصود بـ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ القرآن.

وقال أبو حيّان في معنى إقامة التوراة والإنجيل: "هو إظهار ما انطوت عليه من الأحكام والتبشير بالرسول والأمر باتباعه كقولهم: أقاموا السوق أي حركوها وأظهروها، وذلك تشبيه بالقائم من الناس إذ هي أظهر هيآته"اهـ(٣٩)

وقال الراغب: "فإن قيل: كيف أمرهم أن يقيموا الكتب وقد عُلم أن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل، ولا يصح إقامةُ جميعها؟

قيل: يجوز أنه عنى الإقرار بصحة ثلاثتها، ويجوز أنه أراد أحكام أصولها، فإن ثلاثتها تستوي في ذلك وإنما الاختلاف في الفروع بحسب مصالح الأزمنة.

وقيل: أراد إقامة هذه الكتب بإظهار ما فيه من وصف النبي صلى الله عليه وسلم وتصديق بعضها بعضاً".اهـ(٤٠)

---

(٣٧) محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٠، ص٤٧٤، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣٨) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٣ (مرجع سابق).

(٣٩) البحر المحيط: ٣١٩/٤ (مرجع سابق).

وقال أبو السعود: "﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي دينٍ يُعتدّ به ويليق بأن يسمى شيئاً؛ لظهور بُطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غايةَ وراءَه ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهدُ نبوته، فإن إقامتهما إنما تكون بذلك، وأما مراعاة أحكامهما المنسوخةِ فليست من إقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما وردٌّ لشهادتهما؛ لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاءِ وقت العمل بها؛ لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادةٌ بنسخها وخروجها عن كونها من أحكامهما وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشَّرَ فيهما ببعثته وذُكر في تضاعيفهما نعُوتُه، فإذن إقامتُهما بيانُ شواهدِ النبوة، والعملُ بما قررته الشريعة من الأحكام كما يفصحُ عنه قولُه تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن المجيد بالإيمان به فإن إقامة الجميع لا تتأتّى بغير ذلك، وتقديم إقامة الكتابين على إقامته مع أنها المقصودةُ بالذات لرعاية حقِّ الشهادة واستنزالِهم عن رتبة الشِّقاق، وإيرادُه بعنوان الإنزال إليهم لما مرّ من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به، لا كما يزعُمون من اختصاصه بالعرب، وفي إضافة الربِّ إلى ضميرهم ما أشيرَ إليهِ من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيلَ كما مر وقيل الكتبُ الإلهية فإنها بأسرها آمرةٌ بالإيمان لمن صدَّقَتْه المعجزةُ ناطقةٌ بوجوب الطاعة له"اهـ[٤١]

---

(٤٠) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، ج٥، ص٤٠٣، الناشر: جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٤١) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٣، ص٦٢، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

وتنبّه أيضاً لعلة إيراد القرآن الكريم عند مخاطبة أهل الكتاب بعنوان ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، وهي التصريح بأنّهم مأمورون بإقامته والإيمان به.

وقال الشيخ الطنطاوي: "لستم على شيء يقام له وزن من أمر الدين حتى تعملوا بما جاء في التوراة والإنجيل، من أقوال تبشر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحتى تؤمنوا بما أنزل إليكم من ربكم من قرآن كريم يهدى إلى الرشد؛ لأنكم مخاطبون به، ومطالبون بتنفيذ أوامره ونواهيه، ومحاسبون حساباً عسيراً على الكفر به، وعدم الإذعان لما اشتمل عليه"اهـ(٤٢)

ب: أنه جميع الكتب السماوية، ولا يمكن أن يقبل عدنان إبراهيم أيضاً بهذا القول؛ لدخول القرآن في جميعها، وهو مرفوض عنده؛ ولأنه يرد عليه سؤال مهمّ وهو: أن منعه أن يدخل القرآن في قوله تعالى: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو بسبب أنه لم ينزل إليهم على حدّ قوله، فصحف إبراهيم عليه السلام مثلاً لم تنزل إليهم وهي من جميع الكتب. فيلزمه ردّ هذا القول كسابقه بناء على ما ذهب إليه من أنّه لم ينزل إليهم.

وبأن المراد جميع الكتب السماويّة قال به الأقل من المفسرين ومنهم: الماتريدي(٤٣)، والبيضاوي(٤٤).

ومن الجدير بالذكر أننا لو أدخلنا في ذلك التوراة والإنجيل يكون من عطف العام على الخاص، ولو قلنا المراد ما عدا التوراة والإنجيل؛ لأنهما مذكوران أولاً فلا

---

(٤٢) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٤، ص٢٢٧، دار نهضة مصر للطباعة والنشر– القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

(٤٣) انظر: أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ج٣،ص٥٥٩، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٤٤) انظر: ناصر الدين القاضي البيضاوي (٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢،ص١٣٦، دار إحياء التراث– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

يضرّ؛ لأنه في الحالين يكون ما اشترط عليهم إقامته ليكونوا على شيء هو مجموع الكتب السماوية وفي ضمنها القرآن.

ج: هو سائر ما نزل على أنبياء بني إسرائيل من كتبٍ غير التوراة والإنجيل. فتعيّن أن يكون هذا هو القول الذي يجب أن يقول به عدنان إبراهيم. فيلزمه أن الكتابيّ لا يكون على شيء حتى يقيم التوراة والإنجيل وجميع ما أنزل على أنبياء بني إسرائيل من كتب. فأين هي كتب بني إسرائيل الأخرى لكي يقيمها الكتابي فيكون على دين يعتدّ به عند الله تعالى؟ ولِمَ يقيم الكتابيون التوراة ولا يقيمون الإنجيل مع أنه نزل إليهم متأخراً وأحلّ لهم بعض الذي حرّم عليهم كما نصّ عليه القرآن؟ وأيّ نسخة من التوراة والإنجيل يقيم مع كلّ هذه الاختلافات فيما بينها؟ أسئلة كثيرة لا جواب عليها إذا اختار هذا القول.

وهذا القول الثالث ذكره الإمام الرازي وابن الجوزي، وذكره أبو السعود والألوسي وغيرهم من المفسرين بصيغة التمريض، انظر مثلاً قول أبي السعود: "وقيل: المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيلَ كما مر، وقيل: الكتبُ الإلهية فإنها بأسرها آمرةٌ بالإيمان لمن صدَّقَتْه المعجزةُ ناطقةٌ بوجوب الطاعة له"اهـ[٤٥] ولم نر مفسراً نسب هذا القول لأحد معيّن ممن اختاره، ولم نرَ مفسّراً اختاره وقوّاه. وهو كما رأيتم ما ألزَمنا عدنان إبراهيم القول به!

وقد ذكرنا طرفاً من أقوال المفسرين في معنى إقامة التوراة والإنجيل عند ذكر القول الأوّل، وخلاصته ذلك أن تُوفّى حقوقُهما بالعلم والاعتقاد والعمل بمقتضى ذلك، وهو كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [سورة

(٤٥) انظر: تفسير أبي السعود: ٣/٦١-٦٢ (مرجع سابق).

المائدة: الآية ٦٦]الواردة قبل الآية التي نبحث فيها، ما يفصل بينهما إلا آية واحدة! ولذلك تجد بعض العلماء حين يفسّرون قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يرجعون القارئ إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ولا يعيدون الكلام؛ لأنّهما بمعنى واحد.

وأخيراً فقد وقفنا على كلام البقاعي، ويفهم منه أن المراد جميع ما في كتب أهل الكتاب من البشارة بسيدنا محمد ووجوب اتباعه وما في القرآن الكريم المصدّق لما قبله(٤٦). فكأنه أخرج الكتب التي لم تتنزل على أنبياء أهل الكتاب باعتبار أنها لم تنزّل إليهم، وهو رأي وجيه، فإن شئت أبقيته في القول الثالث وإن شئت أفردته في قول رابع.

فهذه جميع الاحتمالات الممكنة التي يمكن أن يحمل عليها الموصول في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم﴾، ولا يستقيم مع أيّ منها ما اختاره عدنان إبراهيم.

ثالثاً: إن قوله تعالى مخاطباً أهل الكتاب: ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكُم﴾ المراد به القرآن المجيد؛ لأنهم من حيث إنهم مكلّفون بالإيمان به والعمل بما فيه فهو منزّل إليهم. فيصحّ أن يقال: إنه أنزل إليهم كما يصحّ أن يقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلّم مرسل إليهم؛ لأنّه إذا كان مرسلاً إليهم، وهذا ما لا يمكن لعدنان إبراهيم أن يجادل فيه لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[سورة سبأ: الآية ٢٨]، فرسالته التي أرسل بها على رأسها القرآن الكريم فيكون منزّلاً إليهم كما هو منزّل إلى كلّ مكلّف إلى قيام الساعة.

---

(٤٦) انظر: نظم الدرر، ٦/٢٣٩ (مرجع سابق).

وإنّما أورد جلّ شأنه القرآن الكريم بعنوان الإنزال إليهم لما مرّ من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به لا كما يزعُمون من اختصاصه بالعرب، وأن كتبهم آمرة إياهم بالإيمان به وبوجوب الطاعة له كما ذكر لنا القرآن عنها، ولكنهم كانوا يكذبون ويفترون. وهذا ما ذكره أبو السعود، وغيره عند تفسير الآية.

وقال أبو زهرة ما معناه: "عبر عن القرآن بـ ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ولم يقل: حتى تقيموا التوراة والإنجيل والقرآن؛ ليصرح بأنهم مخاطبون به، وأنهم ممن أنزل القرآن لأجلهم، وإلى ذلك يشير قوله عليه الصلاة والسلام: (لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يؤمن بما جئت به)[٤٧]"اهـ[٤٨]

ونقول: يؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٥].

فذكر تعالى أنّ الكتاب المبين وهو القرآن العظيم قد جاءهم أيضاً فيكون منزلاً إليهم أيضاً. ويؤيده أيضاً أنّ أمّة سيدنا محمد أعني أمّة الدعوة هم جميع الإنس والجنّ، وبهذا الاعتبار يكون القرآن الكريم منزّلاً إليهم؛ ولأنّ الكلام والجدل معهم في أمر هذا الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام واتباعه، فكأنه قال: حتى تقيموا التوراة والإنجيل اللذين في أيديكم وتقيموا القرآن الذي أنزل إليكم وجاءكم به هذا الرسول عليه الصلاة والسلام. وهذا تخريج لمختار الجمهور باستعمال الضمير في معناه الحقيقيّ دون أن يكون مبناه على التجوز في الضمير.

---

(٤٧) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان ٣٤٨/١، حسنه الألباني في الإرواء ٣٤/٦ برقم ١٥٨٩، وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة ٢٧٠/١.

(٤٨) انظر زهرة التفاسير: ٢٢٨٤/٥ (مرجع سابق).

ويمكن الجواب عن الوجه الثاني:

بأنا نمنع وجوب أن يُلتزم استعمال كلمة أو جملة بمعنى واحد في جميع المواضع. كيف يلزم مثل ذلك وهذا مقام وذاك مقام. ألا يُرى أن كلمة ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مثلاً استعملت في القرآن الكريم بمعنى اليهود أحياناً، وبمعنى النصارى أحياناً، وبمعنى اليهود والنصارى معاً أحياناً، وبمعنى كلّ من أوتي كتاباً حتى المسلمون داخلون فيهم على قول البعض. فمن أين يجب أن تستعمل العبارة بمعنى واحد في كلّ سياق وكلّ موضع؟!

فظهر أن ما قاله عدنان إبراهيم في نفي قول الجمهور مردود، وأن قول الجمهور قول سائغ قويّ، ولذلك تمسّك به أكابر المفسّرين، ومن لم يختر هذا القول من المحققين فقد اختار جميع الكتب السماويّة والقرآن داخل فيها بلا ريب. والسبب في اختيار بعض المحققين لهذا القول أن الكتب السماوية من حيث إنهم مكلّفون بالإيمان بها فهي منزلة إليهم كما علله البيضاوي[٤٩]؛ ولأنها بأسرها آمرةٌ بالإيمان لمن صدَّقَتْه المعجزةُ ناطقةٌ بوجوب الطاعة له، كما علله أبو حيّان حيث قال: "وظاهر قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ العموم في الكتب الإلهية مثل: كتاب أشعياء، وكتاب حزقيال، وكتاب دانيال، فإنها مملوءة من البشارة بمبعث الرسول. وقيل: ما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن"اهـ[٥٠]؛ ولأن الإيمان ببعض الرسل وببعض الكتب، والكفر ببعض لا ينفع؛ حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة، كما علله الماتريدي[٥١].

---

(٤٩) انظر تفسير البيضاوي: ١٣٦/٢ (مرجع سابق).

(٥٠) البحر المحيط: ٣١٩/٤ (مرجع سابق).

(٥١) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٥٩/٣ (مرجع سابق).

المطلب الثالث: الاستدلال بالحديث الشريف: (ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)[٥٢]، والرد عليه.

وأخيراً استدلّ عدنان إبراهيم بالحديث الشريف: (ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)[٥٣]. وأخذ منه أنه إن لم يتبعه ولكن لم يكفر فله أجر واحد. يريد بذلك أنّه يبقى مؤمناً، ويؤجر على ذلك الإيمان ولو بقي على متبعاً لشرعه.

وقد بيّنا فيما مضى انتساخ كلّ شرع قبل الإسلام بمجيء الإسلام، وأنّه لا يمكن لأحد بلغته دعوة الإسلام أن يتديّن بغير الإسلام. وزيادة على ذلك نجيب عن هذا الاستدلال بما يلي:

أولاً: ليس في منطوق الحديث، ولا يؤخذ من مفهومه أنّ للكتابيّ أجراً واحداً إذا أدرك النبي ولم يتبعه. فهو استدلال خاطئ بلا ريب.

ثانياً: الحديث في مسلم: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران)[٥٤] فيه زيادة على البخاري (وأدرك النبي صلى الله عليه وسلّم) وكذلك (واتبعه وصدّقه). والظاهر أن عدنان ترك هذه الزيادة؛ لأنها لا تساعده في مذهبه الذي لا يوجب على أهل الكتاب اتباع النبي، بل هذه الزيادة تنصّ على وجوب اتباع الكتابيّ للنبيّ صلّى

---

(٥٢) صحيح البخاري: كتاب: العلم، باب: باب تعليم الرجل أمته وأهله، برقم: ٩٧.

(٥٣) صحيح البخاري: كتاب: العلم، باب: باب تعليم الرجل أمته وأهله، برقم: ٩٧.

(٥٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، برقم ٢٤١.

الله عليه وسلّم إذا أدركه. فكيف يكون مثل هذا اجتهاداً صحيحاً وهو ينتقي من الأحاديث ما يشاء ويترك ما يشاء.

كما أنّ قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إن لِمَنْ آمن مِنْ أهل الكتاب أجرين إذا آمن بنبيه وآمن به، لا يستلزم ألبتّة أن يكون له أجر واحد إن أدرك النبي وصدّق أنه نبي ولم يتّبعه، بل هو عندئذٍ كافر لا يقبل منه عمل كما بيّنا لك ذلك سابقاً. ولكن إن لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلّم فإنه من السائغ القول بأنّ له أجراً واحداً بشرط كونه مؤمناً لم يلبس إيمانه بظلم أهل الكتاب من شرك وافتراء على الله تعالى ونحو ذلك كما مرّ.

ثالثاً: مما جاء في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى هرقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»(٥٥).

فأمره بالإسلام لتحصيل الأجر المضاعف، ولم يقل له أنت بالخيار إما أن تدخل الإسلام وتتبعني ولك أجران، أو تبقى على دينك ولك أجر واحد! ولو كان مخيّراً لوجب أن يخيّره ؛ لوجوب البيان عند الحاجة. وهذا واضح.

---

(٥٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، وألّا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، رقم ٢٩٤١.

رابعاً: وفي الحديث: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»(٥٦).

والشاهد وجوب الإيمان بما أرسل به عليه الصلاة والسلام ومن ضمنه القرآن العظيم والشرع الشريف وذلك الإيمان يقتضي اتباع ما فيهما واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام كما بيّناه مراراً.

خامساً: وفي الحديث حين بعث النبي صلى الله عليه وسلّم معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٥٧).

فأمره أنه يدعوهم إلى الشهادتين وهو عنوان الدخول في الإسلام. وبعد أن يشهدوا أمرهم بالقيام بأعمال الإسلام. والشاهد أنه لا ذكر لقضيّة التخيير التي يذكرها عدنان والأمر عظيم والخطب جلل، والنبي عليه الصلاة والسلام يوصي معاذاً وهو ذاهب إلى أهل الكتاب!

خامساً: قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥].

---

(٥٦) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، برقم ٢٤٠.

(٥٧) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم ٢٩.

قال الراغب في تفسيره: "في الآية قولان:

أحدهما: أن الإسلام ههنا الاستسلام إلى الله. وتفويض الأمر إليه، وذلك أمر مراد من الناس في كل زمان ومن كل أمة وفي كل شريعة، وقدْ تقدم أن الدين في اللغة الطاعة وفي التعارف: وضع إلهي ينساق به الناس إلى النعيم الدائم، فبيّن تعالى أن من تحرى طاعة وانسياقاً إلى النعيم من غير الاستسلام له على ما يأمره به، ويصرفه فيه فلن يقبل منه شيء من أعماله، وهو في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم.

والثاني: أن المراد بالإسلام شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، فبيّن أن من تحرى بعد بعثته شريعة أو طاعة لله من غير متابعته في شريعته فغير مقبول منه، وهذا الوجه داخل في الأول، فمعلوم أن من الاستسلام الانقياد لأوامر من صحّت نبوته وظهر صدقه."اهـ(٥٨)

وقال الطنطاوي: "وكل من يطلب ديناً سوى دين الإسلام فهو خاسر فقال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ». أي: ومن يطلب ديناً سوى دين الإسلام الذي أتى به محمد - عليه الصلاة والسلام - فلن يقبل منه هذا الدين المخالف لدين الإسلام؛ لأن دين الإسلام الذي جاء به محمد هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً»؛ ولأنه هو الدين الذي ختم الله به الديانات، وجمع فيه محاسنها.

أما عاقبة هذا الطالب لدين سوى دين الإسلام فقد بينها -سبحانه - بقوله: «وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ». أي وهو في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم بحرمانهم من ثواب الله، واستحقاقهم لعقابه جزاء ما قدمت أيديهم من كفر وضلال.

---

(٥٨) تفسير الراغب: ٦٩١/٢ (مرجع سابق).

ثم أشار الطنطاوي إلى معنى لطيف قال: "وفي الإخبار بالخسران عن الذي يبتغي أي يطلب ديناً سوى الإسلام، إشعار بأن من يتبع ديناً سوى دين الإسلام يكون أشد خسراناً، وأسوأ حالاً؛ لأن الطلب أقل شراً من الاتباع الفعلي".اهـ(٥٩)

فإذا علمنا أنه صلى الله عليه وسلّم المبلّغ عن الله بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[سورة المائدة: الآية ٦٧]، وأن من سنته المطهرة ما هو بيان للكتاب بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [سورة النحل: الآية ٤٤]، وأنه قدوة الناس بقوله تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١]، وأنه المعصوم الموحى إليه من الله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم: الآية ٣ -٤]، وأن الله تعالى جعل طاعته طاعته، ومعصيته معصيته سبحانه ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [سورة النساء: الآية ٨٠]. فكيف لا يجب اتباع من كانت هذه صفته!؟

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨].

وبناء على ما تقدّم فلا يقبل من المرسَل إليهم مجرّد الاعتراف برسالته والبقاء على شرائعهم السابقة. ونختم بقول ابن حزم: "ولا يختلف اثنان من أهل الأرض -لا نقول: من المسلمين، بل من كلِّ ملةٍ - في أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(٥٩) التفسير الوسيط للطنطاوي: ١٧٠/٢ (مرجع سابق).

قطع بالكفر على أهل كلِّ ملةٍ غير الإسلام الذين تبَّرأ أهلُه من كل ملةٍ حاشى التي أتاهم بها عليه السلام فقط"[٦٠].

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبعد فلقد انتهى بحثنا في هذه المسألة وفيما يلي أهمّ النتائج التي وصل إليها:

١ -توصلنا إلى أنّ للدعوى المبحوثة ههنا أصلاً في العيسويّة والرعيانيّة من فرق اليهود، وأن لها أصلاً في بعض فرق الخوارج.

٢ -فنّد البحث الشّبه التي تعلّق بها أصحاب الدعوى الواهية، وبيّن خطأ استدلال عدنان إبراهيم وهو من أهمّ المنافحين عنها في هذا الزمان، وبيّن البحث معارضتها للنصوص الصريحة من الكتاب والسنّة، والأدلّة العقليّة واللغويّة. وبناء عليه يكون ما ادّعاه اجتهاداً إن سلّم كونه اجتهاداً فهو اجتهاد باطل بيّن البطلان، ورأي فاسد مردود لا اعتبار به.

٣ -وجدنا أن السبب وراء هذا الخطأ الكبير والتخبّط في الاستدلال والاجتهاد هو عدم استقصاء النصوص الشرعيّة، وعدم التمكّن من آلات الاجتهاد، وعدم الالتزام بمناهج البحث والنظر وقواعد الأصول والاستنباط في فهم النصوص. فظهر أن هذا المدّعي متعلّق بشبه واهية، وأنه قاصر عن رتبة الاجتهاد. ولا يبعد على من يقول بهكذا قول يخالف قواطع الأدلّة أن يكون متلاعباً متغرّضاً.

---

(٦٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٤٢/٣ (مرجع سابق).

٤ -التوصيات:

نوصي بمتابعة حركة هؤلاء الذين يوردون الشبهات على العقائد والقضايا الدينية القطعيّة ويحاولون التشكيك فيها بهدف نقض عرى الدين، والرد عليهم بأسلوب علميّ رصين لكي لا تتمكن شبهاتهم من قلوب المتخصصين، وتقديم ردود مبسطة يفهمها عوام المسلمين تجنباً لتأثرهم بهم. فإنّ هذه الحركة المغرضة هي مفتاح علمنة الإسلام بانتهاج أساليب التشكيك في الدين على نحو ما تمت به علمنة أوروبا النصرانية، وعلى نحو ما قام به الإصلاحيون اليهود بإعادة تأويل النصوص الدينية وتفسيرها تفسيرات تبدلها وتحرفها بما ينسجم مع أفكار ومعتقدات عصر العولمة.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المراجع

[١] أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (٥٤٣هـ)، دار الكتب العلميّة -لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م.

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

[٣] أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ)، دار الكتب العلميّة -لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

[٤] الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزَّالي (٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

[٥] الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، دار المعرفة -بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

[٦] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين القاضي البيضاوي (٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

[٧] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، دار الفكر -لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

[٨] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر -القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

[٩] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

[١٠] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.

[١١] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للكتب، تونس، ١٩٨٤م

[١٢] تفسير الكشاف، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي -لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ

[١٣] تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)، الهيئة المصريّة العامة للكتاب - مصر، ١٩٩٠م.

[١٤] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، دار طيبة للنشر -الرياض، ط٢، ١٤٢٠ه

[١٥] (تفسير الماوردي) النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية -لبنان، بلا طبعة ولا سنة طبع

[١٦] تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ

[١٧] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب، ابن الباقلاني (٤٠٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط١، ١٩٨٧م

[١٨] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ

[١٩] حاشية القُنْوِيِّ على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي القُنْوِيُّ (١١٩٥هـ)، دار الكتب العلميّة -لبنان، ط١، ٢٠٠١م

[٢٠] روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلميّة -لبنان، ط١، ١٤١٥هـ

[٢١] زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي -مصر، بلا طبعة، ولا سنة طبع

[٢٢] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، دار طوق النجاة - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

[٢٣] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بلا طبعة، بلا سنة طبع

[٢٤] العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار ابن الجوزي - الدمام، ط١، ١٤١٨ هـ

[٢٥] الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – لبنان، ط٢، ١٩٧٧م

[٢٦] الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي– القاهرة، ١٣٢١هـ

[٢٧] لباب التأويل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (٧٤١هـ)، دار الكتب العلميّة -لبنان، ط١، ١٤١٥هـ

[٢٨] اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤١٩هـ

[٢٩] المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

[٣٠] نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ط١، ١٩٨٤م

The Claim that People of the Scripture (Jews and Christians) are not Assertively Requested to Follow Messenger Mohammed PBUH and its Refute

Dr. Nizar Atallah [1], and Bilal Najjar [2]
1 Assistant professor, Faculty of Islamic Call & Fundamentals of Religion
The World Islamic Sciences & Education, Specialization: Interpretation of The Holy Koran
2 B.A in Fundamentals of Religion, The World Islamic Sciences & Education University

Abstract. Some contemporaries claimed that People of the Scripture (Jews and Christians) are not assertively requested, in Islam, to follow the Messenger of Allah Mohammed PBUH, and they are assertively requested, only to believe in his prophecy. He said that if they believe in him and follow his religion they will be rewarded twice. And if they believe in him but do not follow him, they will be rewarded once. Researchers have investigated those who say that among the contemporary thinkers, and looked for the roots of this saying in history, reviewed their most important evidences, criticized them, opposed them by other evidences and concluded that this claim is void as it is contrary to Qur'an and Sunnah, Ijmāʿ (the consensus or agreement of the Muslims on religious issues) and the reason.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ص ١٢٤٩-١٢٩٨، (رجب ١٤٣٨هـ/مارس ٢٠١٧م)

التعايش بين أتباع الديانات والحضارات ودور المملكة العربية السعودية فيه[١]

د. عبدالرحمن أحمد كايد الصمادي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث. يعالج البحث قضية التعايش بين أتباع الديانات والحضارات المختلفة في مبحثين.

في المبحث الأول سيتناول الباحث موضوع التعايش بين أتباع الديانات والحضارات المختلفة من حيث المفهوم والنشأة والعلاقة ما بين حوار الأديان والتعايش بين أتباعها، كما سيتناول فيه موقف الوحي بشقيه القرآن الكريم والسنة المطهرة تجاه هذا التعايش، ليحدد بعد ذلك أهداف التعايش وضوابطه.

أما المبحث الثاني فقد خصصه الباحث لجهود المملكة العربية السعودية ودورها في تحقيق التعايش بين أتباع الأديان والحضارات المختلفة، وذلك لما تحتله المملكة من مكانة رفيعة على الصعد كافة، وسيتناول الباحث فيه المبادرات التي قدمتها المملكة في هذا المجال انطلاقا من مؤتمر مكة ١٩٢٦م إلى مؤتمر مكة ٢٠٠٨م فمؤتمر مدريد ثم مؤتمر نيويورك لتتوج هذه الجهود بمركز خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله للتعايش بين أتباع الديانات والحضارات المختلفة ٢٠١١م، وسيبين الباحث أهم المبادئ والثوابت التي انطلقت منها المملكة في جهودها لتحقيق التعايش، تلك المبادئ المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف. محاولاً تقييم الدور الذي قامت به المملكة، وما ترتب عليه من آثار عظيمة في الدفاع عن هذا الدين وإظهار الصورة الحقيقية للعرب والمسلمين تلك الصورة التي مورست ضدها أبشع أشكال التزييف والتشويه.

كلمات مفتاحية: حوار الحضارات، حوار الأديان، التعايش الديني

---

١ - يشكر الباحث عمادة البحث العلمي بجامعة القصيم لدعمها هذا البحث.